المدينة والسلطان:
مدينة الرياض العنبري بمكناس من الإعمار إلى الهدم

عبد المالك ناصري*

تقديم:

منذ اختيار المولى إسماعيل لمدينة مكناس عاصمة لدولته وهو يشيد البنايات ويقيم التحصينات، وكان ذلك بدافع ملح للتحكم في المجال عن طريق المراقبة المستمرة، التي تفضي إلى حسن تدبير العلاقة بين السلطان والمدينة بكل مكوناتها، ولم يكن ذلك مقتصرا على مؤسسات بعينها بل شمل كل المنشآت، وخاصة تلك التي كانت تمثل الحكم المركزي، غير أن هذا النمط من العمران الذي يكون ملحقا بالمباني السلطانية يقتضي من جهة، الاهتمام به لأنه شكل واجهة السلطة، فهو مستقر الوزراء، والقواد، والعمال والكتاب، وذوي الحيثيات من أعيان الدولة، ومن جهة أخرى، يستدعي التعامل معه بنوع من الحذر، لأنه بعد "تضخمه" يمكن أن يشكل خطرا على السلطان القائم.

إن هذه الثنائية في تعامل المخزن مع بعض مكونات المدينة السلطانية يفرضها واقع غير معلن، يمكن أن نلمسه في التمازج، إلى حد التماهي، بين النخبة العسكرية والنخبة الإدارية، اللتين شكلتا ما يمكن تسميته "بعناصر الضغط"، التي يكون لها كلمتها في القرارات السلطانية، وهكذا فقد حاول المخزن، (في شخص المولى إسماعيل)، تقوية هذه الفئة وإيلائها مكانة رفيعة في هرم السلطة، غير أنه في مرحلة موالية نجده، (في شخص السلطان مولاي عبد الله)، يتخذ إجراءات حاسمة لأضعاف هذا الكيان الاجتماعي الذي أصبح يتحكم في مصير الدولة، من خلال المناصرة والمبايعة أو المناهضة والعزل، بل ومناقشة كل القرارات الصادرة عن السلطان، إن هذه الثنائية في التعامل بين عهدين تتجلى بوضوح في مآل مدينة الرياض العنبري بمكناس، التي شيدت بأمر سلطاني لتكون امتدادا للقصبة الملكية، ولتعزيز مكونات الجهاز الحاكم، لكنها هُدمت، أيضا بقرار سلطاني، كانت غايته إنهاء، وصاية خصم، من نفس الجهاز المخزني، اتسع نفوذه وتحكمه في دواليب السلطة.

أولا: مدينة الرياض العنبري: النشأة والإعمار

كان موقع مدينة الرياض العنبري (الخريطة رقم: 1) جوار القصبة الإسماعيلية[1]، بما يعرف اليوم بحي الرياض، خارج باب زين العابدين المندثرة، تحدها من الجهة الجنوبية

*- جامعة سيدي محمد بن عبد الله، الكلية متعددة التخصصات - تازة.

1- أبو عبد الله محمد الكنسوسي، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**، الجزء الأول، تحقيق وتقديم وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1994، ص. 122.

الشرقية باب بن القاري وسور الأغنياء، الذي يصل باب قصبة بني محمد مع برج المرس، ومن الجهة الشمالية باب الخميس؛ ومن الجهة الجنوبية الغربية زاوية سيدي سعيد وضريح سيدي أحمد الملياني، إلى حدود برج المرس، قرب ما يعرف بصهريج القنب، بجنان "خريف" قرب "ميعارة اليهود" الجديدة بالبرج المشقوق.



الخريطة رقم 1: الموقع المفترض لمركز مدينة الرياض العنبري بمكناس

لقد جعل المولى إسماعيل من هذه المدينة مستقرا لأخواله الودايا[1] عام 1088هـ /1677م، حيث أمرهم ببناء دورهم بها، فعندما «**ضاقت المدينة المولوية بجيشه المنصور أمر (...) ببناء المدينة الجديدة العنبرية المختطة بأمره السلطاني (...)**»[2]، ولا يستبعد أن تكون هذه المدينة هي المقصودة بوصف "مويط" (Mouette): «**وهناك حصن صغير آخر شيد عام [1091هـ] 1680م يدعى الأوداية، عرض أسواره ستة أشبار، وبجانبه أبراج مربعة ذات شرفات**»[3]، غير أن هناك من يحدد تاريخ صدور الأمر ببنائها بعام 1099هـ /1687م[4]، وفي هــذا

1- إحدى قبائل عرب المعقل بالصحراء، نزحت في عهد المولى إسماعيل إلى حوز مراكش، فاتخذ السلطان منهم إحدى أهم فرقه العسكرية، وقد كان فريق منهم يشكل حاميتي فاس ومكناس في ذلك العهد.

2- **حوالة أحباس المساجد الصغار**، رقم 4، ميكروفيلم رقم 121، الخزانة العامة، الرباط، ص. 205 أ.

3- جرمان مويط، **رحلة الأسير مويط**، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، دار المناهل للطباعة والنشر، الرباط، 1990، ص. 73.

4- محمد المكناسي العياشي، **زهر البستان في نسب أخوال سيدنا المولى زيدان**، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم ز3274، ورقة 48 ب. محمد بن عبد السلام الضعيف، **تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان 1043هـ/ 1633م – 1238هـ/ 1812م**، الجزء الأول، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988، ص. 175.

الشأن يقول الأديب عمر الحراق[1]:

أَكُتَّابَ الأَمِيرِ سَعِدْتُمُ ... بِآرَاءِ لِسَيِّدِنَا سَدِيدَة
دَنَوْتُمْ مِنْ قُصُورِ أَبِي المَعَالِي ... وَقَدْ كَانَتْ مَنَازِلُكُمْ بَعِيدَة
وَمَا دَارٌ تُقَرِّبُ مِنْهُ إِلاَّ ... مُبَارَكَةٌ بِلاَ رَيْبٍ سَعِيدَة

وبذلك كانت هذه المدينة مقرا للعمال والكتاب وذوي الحيثيات من أعيان الدولة[2]، الذين تنافسوا في تشييد الدور والقصور، وكان من أشهرها دار علي بن يشو، التي كانت تضم أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحدة، ودار عبد الله الروسي وأولاده، التي كانت أضخم منها، حيث وصفت بأنها كانت "حومة"، وأقام كل عامل مسجدا في حيه. وكان يتوسطها المسجد الجامع الأعظم الإسماعيلي بمدرسته وحمامه وفنادقه وأسواقه الموقوفة عليه[3].

وقد أولاها المولى إسماعيل اهتماما خاصا، للمكانة التي كانت لسكانها عنده، حيث كانت كرسي الوزارة في دولته، إضافة إلى أنه كان يريد توسيع نطاق قصبته[4]، التي لم تعد تستوعب ساكنيها، ومن مظاهر هذا الاهتمام بمدينة الرياض العنبري، الزيادات التي لحقت بالمسجد الجامع الأعظم، وتزويده بالماء، وبناء السقاية المجاورة له، وإنشاء الكتاب الخاص لتعليم الأطفال، وكل ذلك بإنفاق شخصي من السلطان[5].

أما بالنسبة للمجال الذي كان يفصل بين القصبة الإسماعيلية ومدينة الرياض العنبري، فقد أنشأ به المولى إسماعيل سنة 1116هـ/ 1704م مجمعا سكنيا خاصا باليهود، يعرف بالملاح، وكأنه مدينة ثالثة، حسب وصف "مييج" (Miege)[6]، الذي لم يكن تحت الحماية المباشرة للقصور السلطانية، مثل ما كان عليه ملاح فاس في العصر المريني أو ملاح مراكش في العصر السعدي، بل تركه بعيدا عنها على شكل ربض أو ضاحية، ملاصقا لمدينة الرياض العنبري[7].

من بين المنشآت العمرانية التي كانت بهذه المدينة، والتي لا زالت آثار بعضها قائمة إلى اليوم، نجد:

1- العياشي، **زهر البستان**، ورقة 48 ب. عبد الكريم بن موسى الريفي، **زهر الأكم**، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، المعارف الجديدة، الرباط، 1992، ص. 174.

2- Henri TERRASSE, **Villes impériales du Maroc**, Editions B. Arthaud, Grenoble, 1937, p. 152.

3- أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في أولاد مولاي الشريف**، الجزء الأول، المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1992، ص. 247. العياشي، **زهر البستان**، ورقة 48 ب.

4- Jean Louis MIEGE, « Une description de Meknès en 1704 », In, **Revue Maroc Europe**, N° 12, 1999/2000, p. 70.

5- **حوالة المساجد الصغار**، رقم 4، ص. 208 ب.

6- MIEGE, **Une description de Meknès**, op. cit, p. 70.

7- TERRASSE, **Villes impériales**, op. cit, p. 148.

❖ **المسجد الجامع الأعظم لمدينة الرياض العنبري:** أنشأه المولى إسماعيل سنة 1088هـ/1677-1678م[1]، واهتم به غاية الاهتمام، حيث حبس عليه العديد من الدور والدكاكين والأسواق والحمامات وغيرها من التحبيسات[2]، التي كان يشرف عليها عبد الوهاب بن محمد حجاج[3]، ومن مظاهر الاعتناء بهذا المسجد، أنه زود بالماء، الذي جلب إليه من العين البيضاء من طرف المولى إسماعيل، وكان ذلك سنة 1106هـ/1694م، حيث تم توصيل ماء هذه العين إلى المسجد الجامع عبر قناة خاصة، وكان الموضع الذي تمر به محبسا عليها[4]، وتوجد هذه العين التي جلب ماؤها للمسجد الجامع، والمعروفة بالعين البيضاء، بموضع قصر الدار البيضاء، الذي تحول اليوم إلى الأكاديمية الملكية العسكرية[5]. وتكلف بتدبير هذا الماء ناظر المسجد، الذي وقف على خدمته وصيانة قنواته، فوزعه بين المسجد الجامع والسقاية التي كانت تجاوره، والتي يبدو أنها بنيت معه، وهي تحمل اسمه، حسب النص الحبسي الذي ورد عند ابن زيدان: «**فجعل ثلاثة أرباعه للمسجد المذكور والربع الواحد الباقي منه للسقاية التي هناك بإزاء المسجد**»[6]، كما استفاد المسجد الجامع الأعظم لمدينة الرياض العنبري أيضا من مياه واد بوفكران[7]. وأمر المولى إسماعيل بزيادة صفين به لتوسيعه، وذلك حسب ما ورد في بعض التقاييد القديمة[8].

كما أضيف إليه كتاب لتعليم الأطفال، من إنشاء المولى إسماعيل، وكان ملاصقا له، فقد ورد في إحدى الحوالات الحبسية ما نصه: «**ومن إنشاءاته المحبسة جميع المكتب المسند على المسجد الجامع الأعظم المذكور لتعليم الصبيان أولاد المسلمين القرآن**» [9]. وقد اندثر هذا المسجد الجامع، ويجهل اليوم موضعه.

1- رقية بلمقدم، **أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل (1082-1139 هـ/ 1672-1727م)**، الجزء الأول، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1413هـ/ 1993م، ص. 208.

2- العياشي، **زهر البستان**، ورقة 48 ب.

3- **حوالة أحباس كبرى مكناس**، رقم 5، ميكروفيلم رقم 116، الخزانة العامة، الرباط، ص. 320 ب.

4- **حوالة المساجد الصغار**، رقم 4، ص. 206 ب.

5- محمد العلمية، « الوضع القانوني لمياه واد بوفكران على عهد المولى إسماعيل »، ضمن أعمال ندوة **وادي بوفكران، البيئة والتاريخ وآفاق التهيئة**، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل بمكناس، ندوة رقم 8، مطبعة فضالة، الرباط، 1993، ص86. تم التوصل إلى ذلك من خلال ما كتب على طرة الظهير السلطاني لسيدي محمد بن عبد الله، الموجه لقائده محمد واعزيز، يأمره فيه بأن "يقوم المعصرة التي بالعين البيضاء" والذي كتب على الطرة هو "الدار البيضاء"، وكأن الذي كتب ذلك يريد تحديد موقع العين، **حوالة أحباس كبرى مكناس**، رقم 5، ص. 11 أ.

6- عبد الرحمان بن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، تقديم وتحقيق، عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، 1993، الطبعة الأولى، ص. 311.

7- رقية بلمقدم، « تنظيم توزيع مياه واد بو فكران وضبط استغلالها في عهد المولى إسماعيل »، ضمن أعمال ندوة **واد بوفكران، البيئة والتاريخ وآفاق التهيئة**، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، ندوة 8، 1993، ص. 78.

8- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 307-311، ونص هذا التقييد كاملا في **المنزع**، من ص. 307 إلى ص. 313، وهو مذيل بما حبس على المسجد بتفصيل.

9- نفسه، ص. 208.

◈ **باب الخميس:** (الصورة رقم 1) هي من تأسيس المولى إسماعيل، ولا تزال قائمة العين إلى اليوم، وتعد من أبواب مدينة الرياض العنبري، وكان إنشاؤها عام 1098هـ/1686م، ولذلك تشير الكتابة المنقوشة على الزليج المتوج لقوسها ولفظه[1]:

أَنَا البَابُ السَّعِيدُ سَمَــوْتُ فَخْــرًا ... سُمُوَّ البَدْرِ فِي الفَلَكِ السَّعِـــيـــدِ
سَنَا مَوْلاَيَ إِسْمَاعِيلَ يَبْـــدُو ... عَلَى ذَاتِ المُنَـــوطَةِ بِالسُّعُـــودِ
ففِـي وَقْتٍ سَعِـيدٍ قَدْ بَنَــانِي ... وَوَرَخَ نَشْـأَتِي جُـودُ المَشِـــيدِ

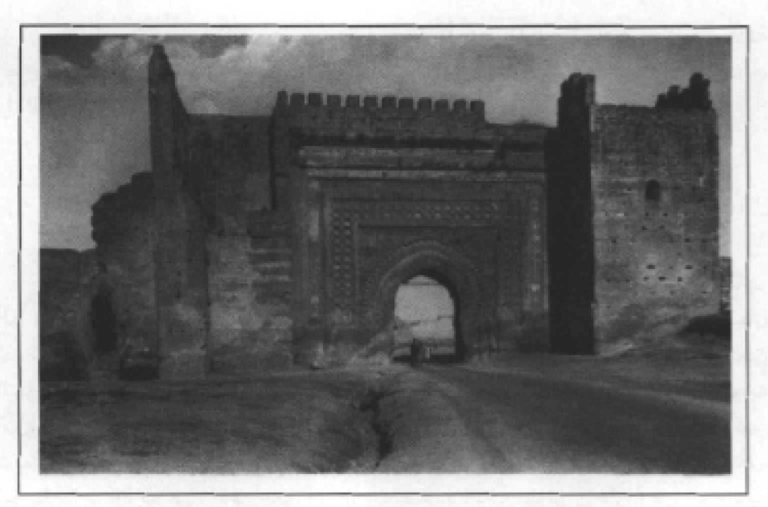
ترجع تسمية هذه الباب للسوق الذي كان يقام بجوارها كل يوم خميس، والظاهر أنها تسمية اعتباطية، وكانت تعرف بهذا الاسم حتى سنة 1331هـ/1912م، إلا أن بعض سكان المدينة يؤكدون أنه في حدود سنة 1359هـ/1940م أصبحت تعرف بباب الملاح، نسبة إلى الحي اليهودي بالمدينة، القريب منها، لكن في الوقت الحالي فنسبتها إلى الخميس، الذي تشتهر به الآن، تغلب على نسبتها إلى الملاح، وهي من الأبواب الإسماعيلية المتميزة في عمارتها[2]، فهي قريبة الشبه في زخرفتها من نظيرتها باب البرادعيين، وهي تتكون من برجين مربعي الشكل، تتوسطهما ستارة بعرض 6.50م وعمق 6.10م، وتعلو هذه الباب نقوش وزخارف من السيراميك الأخضر، إضافة إلى شريط من الكتابة الداكنة ترتفع فوق إطار قوسها، وهي مبنية بالآجر. وقد كانت هذه الباب فيما مضى المدخل الرئيسي لمدينة الرياض العنبري وللملاح القديم، وكان بها جناح خاص بأمناء الخزينة[3]، وقد خضعت هذه الباب للترميم على عهد الحماية، وذلك بين سنتي 1334 و1341هـ/ 1915 و1922م[4].

1- عبد الرحمان بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، الجزء الأول، مطابع إديال، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1990، ص. 164، أشار إلى التاريخ بلفظ "جود المشيد" الذي يساوي 1098هـ/1686م بحساب حمارة الجمل.

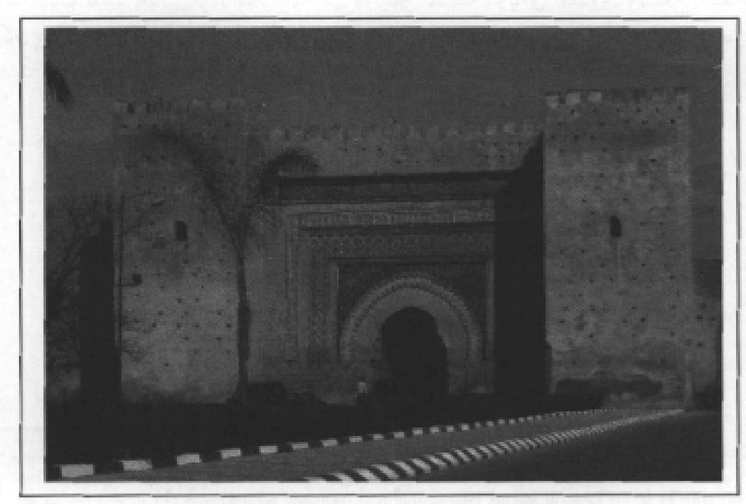
2- SALADIN M. H., **Les portes de Meknès, (Maroc)**, d'après les documents envoyés par M. Le Capitaine Emonet, du Service des Renseignements à Meknès (Maroc), p. 255.

3- Pierre CHAMPION, **Les villes d'art célèbres: Tanger, Fès et Meknès**, Librairie Renouard, H. Laurens, Paris, 1924, p. 134.

4- ينظر التقرير حول ترميم العديد من معالم مدينة مكناس، ومنها هذه الباب، الذي نشر ب:
- **Hespéris**, A.B-B.I.H.M. Année 1922, 4e trimestre, p. 456-457.



الصورة رقم 1: باب الخميس قبل الترميم (عشرينيات القرن الماضي)



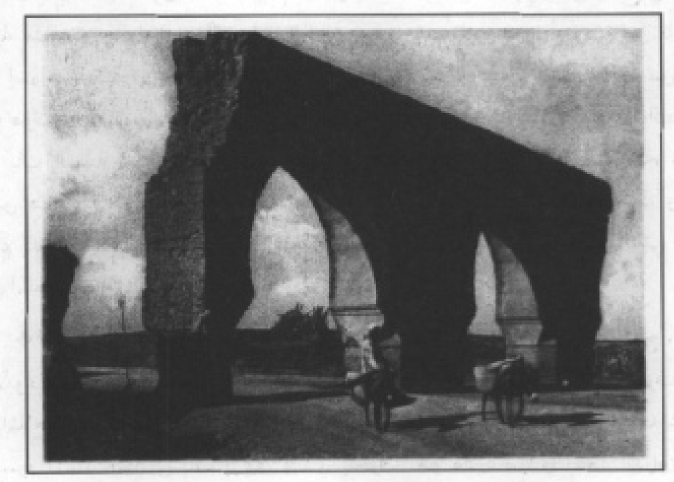
الصورة رقم 1 مكرر: باب الخميس بعد الترميم (2013)

◈ **باب ثلاث فحول**: (اللوحة رقم 2) كان لمدينة الرياض العنبري ربض فسيح في الجهة الغربية منها، بين بابها الداخلية وبابها الكبرى، وهي باب ثلاث فحول[1]، وهي من تأسيس المولى إسماعيل سنة 1109هـ/ 1697م[2]، ولا تزال بقاياها تحمل نفس الاسم بمقربة من باب ضريح مولاي عبد الله بن حَمد، و تعرف اليوم بباب ثلاث فحول، وهي الأقواس الواقعة بين مقبرة باب السيبة ومقابر المصلى، التي تعرف بمقابر المطامير، في الجهة الشمالية، وهذه الأقواس هي جزء من السور المار وسط مقبرة باب السيبة، ولازالت بقاياه ظاهرة، والجزء الأعظم بالجانب الشمالي الشرقي لحي سيدي بابا، والذي يحمل الساقية المعلقة، التي كانت توصل الماء إلى جنان العريفة.

◈ **باب وجه عروس**: تعرف أيضا بباب سيدي سعيد، وهي مجاورة لباب الملاح[3]، وتعد من الأبواب المنتمية لمدينة الرياض العنبري، وكان موقعها خارج المدينة[4]، وهي تعرف أيضا بباب الملاح[5] التي اندثرت. ويرجع لمولاي عبد الرحمان ابن هشام إعادة بناء باب وجه عروس مع السور الممتد منها إلى باب بريمة، والذي ينحرف نحو مقبرة سيدي احمد الدراوي، ثم يكمل مساره إلى أن يصل إلى باب السيبة المندثرة أيضا[6].

◈ **ضريح مولاي مليانية**: يقع بمدينة الرياض العنبري المندثرة، ويحيط بضريحه حائط تشققت بعض جوانبه، وهو بدون سقف، مجاور للمسجد المحدث، الذي ينسب إليه، بالمقبرة التي هناك[7]، وقد تهدم سقف هذا الضريح واندثر طرف من بابه، وتشققت جدرانه، وزال طلاؤه الخارجي، مما كشف عن آجور جدرانه في كل الجهات. وهو اليوم في حالة معمارية تحتاج إلى الإصلاح والترميم.

1- **حوالة أحباس المساجد الصغار**، رقم 4، ص. 205.
2- العياشي، **زهر البستان**، ورقة 49 أ.
3- محمد بن الحسين العرائشي، **تقييد في صلحاء مكناس، وهو شرح منظومة الوزير ابن ادريس في أولياء مكناس**، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 12229ز، ص. 8 ب.
4- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 335.
5- ابن زيدان، **إتحاف**، ج.1، ص. 170.
6- نفسه، ج1، ص. 210.
7- العرائشي، **تقييد**، ص. 9.



الصورة رقم 2: باب ثلاث فحول قبل الترميم (في عشرينيات القرن الماضي)



الصورة رقم 2 مكرر: باب ثلاث فحول بعد الترميم (2013)

ثانيا: مدينة الرياض العنبري: الهدم والإخلاء

لم تعمر مدينة الرياض العنبري طويلا، حيث لم تستمر قائمة إلا حوالي 55 سنة[1]، فقد أمر السلطان مولاي عبد الله بتدميرها فجر يوم 27 شوال عام 1143هـ/ 1731م، وكان ذلك على يد النصارى و"الشعابنية"، حيث وقف على مرتفع يشرف عليها وأمر بالهدم من كل الجهات، وإثر ذلك رحل عنها سكانها المعروفون ب"الودايا" إلى فاس الجديد، وتفرق غيرهم بمكناس[2]. ودامت عملية الهدم حوالي عشرة أيام، تحولت بعدها المدينة إلى أنقاض، فأتى التدمير على كل المنشآت التي كانت بها[3]؛ وصار موقعها بعد ذلك عبارة عن مزارع ومراعي لأهل المدينة، وأراض معدة لنزول الجيوش السلطانية عند حلولها بالعاصمة، وفي فترة لاحقة أحدث بها حي جديد لسكنى اليهود، لضيق حيهم القديم عنهم[4]. وقد تحدث بعض المؤرخين عن أسباب هذا التدمير الطوعي[5]، وذكر بعضهم الآخر أنه عندما كان يحل الليل يجتمع سكانها من القواد والأعيان ليتذاكروا في أمور البلاد، ثم يقرروا ما يرونه مسايرا لمصالحهم، وفي هذا الشأن فمناصرة مولاي أحمد الذهبي[6] كانت أولا في مدينة الرياض العنبري، وفيها أيضا اتفقوا على عزله، وكانت بها مبايعة مولاي عبد المالك[7]، وفيما بعد قرروا عزله بدوره وناصروا مولاي أحمد، وفيها اجتمع رأيهم على مبايعة مولاي عبد الله[8]، الذي لم يبرم أمرا إلا ناقشوه فيما بينهم[9].

إن هذا الوضع جعل السلطان مولاي عبد الله يستشعر خطر تنامي نفوذ العائلات القوية التي كانت تقيم بمدينة الرياض العنبري، لما كان لها من تأثير على القرارات السياسية للدولة[10]، مما دفعه لتخريبها، ليمنع ازدياد نفوذ سكانها من الأعيان، ولم يبق قائما من آثارها سوى بابها الغربي، المعروف اليوم بباب الخميس، مع جزء من السور المتصل بها، في اتجاه حي سيدي سعيد، ويظهر من خلال هيئة هذه الباب ما كان لهذه المدينة من قيمة معمارية. وفي الوقت الراهن أضحى موضع هذه المدينة حيا سكنيا عامرا بمباني حديثة يعرف باسم حي الرياض.

في سنة 1419هـ/ 1998م أجريت بعض الحفريات الأثرية فوق ساحة "الزويتنة"، بين برج "بن القاري" والطريق المؤدية إلى حي "السباتا"، فتم العثور على بقايا هذه المدينة على إثر حفر أساسات البناء بأحد أوراش المجموعة الحضرية، على عمق مترين، فلوحظ وجود

1- ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص. 382.
2- الزياني، **البستان الظريف**، ج 1، ص. 246.
3- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 170.
4- ابن زيدان، **إتحاف**، ج1، ص. 156 – 157.
5- أبو العباس أحمد الناصري، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء السابع، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص. 133–134.
6- الكنسوسي، **الجيش العرمرم**، ج1، ص. 158.
7- نفسه، ج1، ص. 161.
8- نفسه، ج1، ص. 165.
9- ابن زيدان، **إتحاف**، ج1، ص. 156–157.
10- Marianne BARRUCAND, **Urbanisme princier en Islam: Meknès et les villes royales islamiques post-médiévales**, Gouthner, Paris, 1985, p. 54-55.

آثار جدران من الطابية مطلية بالسيراميك، إضافة إلى مربعات من الزليج المتعدد الألوان والأشكال، وقطع من إفريز الجص الخاص بالزخرفة وقنوات لنقل الماء من الطين المشوي، وقواعد بعض الأعمدة، وأول استنتاج أوحت به هذه الأبحاث هو أن هذا الموقع يرجع لتلك الفترة، انطلاقا من اللقى الأثرية التي عثر عليها على امتداد مساحة تبلغ حوالى 1000م[2].

اعتمادا على المعطيات الأولية، وعلى طوبونيميا اسم الرياض، الذي يعرف به المكان الذي تقع عليه هذه الآثار، وبالنظر إلى الحي المجاور له، وهو الملاح الجديد، اعتبرت هذه اللقى الأثرية هي من بقايا المدينة المذكورة في النصوص التاريخية باسم مدينة الرياض العنبري[1].

خاتمة:

كانت مدينة الرياض العنبري بمكوناتها العمرانية، كملحقة مخزنية بالقصبة التي لم تعد قادرة على استيعاب جيوش السلطان، وبسكانها من أخواله الأودايا، تشكل نموذجا متفردا للمدن "التخبوية"، حيث تأسست بأمر من السلطان المولى إسماعيل وبعده خربت بأمر من السلطان مولاي عبد الله.

ويمكن اعتبار مدينة الرياض العنبري من المدن التي كانت في العهد الإسماعيلي خاضعة للمخزن بشكل تام، وكانت قوة وسطوة هذا الأخير تمنع كل تجاوز لهذا الوضع، بحيث لم تكن الظروف السياسية تترك مجالا لحدوث أي نوع من أنواع التوتر بين المخزن وبعض مكوناته التي كانت تقيم في هذه المدينة، غير أنه بعد وفاة المولى إسماعيل عام 1139هـ /1727م وما أعقبها من أزمات سياسية، جعلت العلاقة بين المخزن وسكان هذه المدينة تتغير، فبرزت فئات متنفذة كانت لها القوة والجرأة لمواجهة السلاطين، بل والتحكم في توليهم وفي عزلهم، فكان ذلك نموذجا لتشكل زعامات من المجتمع الحضري غذى من قوتها انتقال السلطة بشكل قسري بين أفراد نفس السلالة الحاكمة، مما ترتب عنه أزمات سياسية لم تعرف نهايتها جزئيا إلا بعد تفكيك هذه الفئات الاجتماعية المتنفذة عن طريق الترحيل وتخريب الديار.

إن الأسوار التي كانت تفصل بين القصبة الملكية ومدينة الرياض العنبري، تجعلنا وكأننا أمام مدينتين، إضافة إلى المدينة العتيقة، التي تعتبر وحدة عمرانية ثالثة، وما أقيم خارج الأسوار من ملحقات، وهكذا فالقصبة الإسماعيلية ومدينة الرياض العنبري، والمدينة العتيقة، هي ثلاث مجالات حضرية متباينة، في عمارتها وفي طبيعة الفئات الاجتماعية التي تقيم بها.

ورغم بعض الإشارات المصدرية عن العلاقة التي كانت تربط بين هذه المكونات الحضرية، إلا أننا لا نتوفر على معلومات دقيقة عن طريقة تدبير السلطة القائمة، المستقرة بالقصبة، لما يجري بمدينة الرياض العنبري، التي تعتبر ملحقة إدارية وعسكرية لها، لأن سكانها من الوزراء والقواد والكتاب وغيرهم من أعوان السلطة ورجال الحاشية، أصبحوا بعد

1- Mostafa AZOUGA et Lhadi KHRISS, « Archéologie islamique: Découverte d'un site Islamique du XVIIème siècle à Meknès », in **Nouvelles Archéologies et Patrimoniales**, n° 3, Novembre 1998, p. 9-10.

وفاة المولى إسماعيل عبارة عن قوة سياسية غير معلنة تتحكم في مقاليد الأمور، بمناصرة من تشاء وعزل من تريد حسب أهوائها ومصالحها الخاصة، وهكذا فالمدينة ومكوناتها البشرية التي نشأت بإرادة المولى إسماعيل وعاشت في ظل السلطة، استغلت، بعد مرور الزمان، نفس الامتياز للتمكن من زمام الأمور، فكان ذلك بداية المواجهة بين السلطان وهذا الكيان الذي نشأ في ظله، مما أفضى إلى هدمها وتفريق سكانها على الجهات بغية تكسير اللحمة التي جمعت بين مكوناتها الاجتماعية التي تنامى نفوذها وتوسعت سلطتها، وذلك في إطار ثنائية الإعمار والهدم كسلوك ملازم للسلطة بعد استشعارها وجود فئة اجتماعية منافسة في الحكم، سواء من المعدودين على المخزن أو من عموم الرعية، وهذا يوضح لنا بجلاء بعض أبعاد الصراع السياسي بين المكونات المجالية للمدينة السلطانية، الذي يندلع بشكل علني عند انتقال السلطة، كتركة غير مأمونة الجانب من العهد السابق للعهد اللاحق.

ناصري، عبد الملك. 2014. المدينة و السلطان : مدينة الرياض العنبري بمكناس من الإعمار إلى الهدم. *البحث التاريخي*،مج. 2014، ع. 10-11، ص ص. 171-181.